(٨)

في «المنتدى الاجتماعي العالمي»
«عالم جديد ضروري... وليس ممكناً فحسب»

اعتاد رأسماليّو الاجتماع في دافوس (المنتجع السويسري) من اجل تحديد الخطوط العامة التي تحكم هيمنة الرأسمالية على العالم، كما من أجل «تقاسم الحصص»، حيث يعمل رؤساء أهم ألف شركة عالمية، ومفكرون، وخبراء رأسماليون، ورؤساء دول، على البحث في الأسس التي تسمح بإرساء السياسة «النيوليبرالية»، التي باتت شاغلهم، بعدما كانت قد انتصرت في أمريكا بنجاح رونالد ريغان، ومارغريت تاتشر في بريطانيا بداية الثمانينيات.

ولا شك في أن رأسماليي أمريكا ومفكريها هم الذين عمموا مفهوم السياسة النيوليبرالية، وعملوا على تحويله إلى سياسة عملية.

وكانت دورة سنة ١٩٩٤، وكذلك دورة سنة ١٩٩٥، قد طرحتا ما أسمي بنظام العولمة، الذي عبّر عن الاستراتيجية التي يجب أن يقوم على أساسها «النظام العالمي الجديد»، وأصبح التعبير الأكثر رواجاً، منذئذ، وهو التعبير الذي يتضمن كل مفهومات السياسة النيوليبرالية القائمة على «حرية السوق»، وإلغاء دور الدولة، وترك الفعل لآليات السوق، وبالتالي للاقتصاد، كسياسة قائمة على تعزيز الرأسمالية، وتعزيز سيطرتها العالمية.

لكن أحداث سياتل ضد مؤتمر منظمة التجارة العالمية سنة ١٩٩٩، والنشاطات التالية ضد «رموز» العولمة، دفعت للتفكير بإيجاد «مركز مضاد» من

أجل تنسيق النشاط المناهض للعولمة، والساعي لتحقيق «عولمة إنسانية»، على غرار منتدى دافوس (المنتدى الاقتصادي العالمي). لهذا تأسس «المنتدى الاجتماعي العالمي»، في بورتو أليغري (البرازيل)، بداية عام ٢٠٠١، بهدف تأسيس سياسة بديلة، وتنظيم النشاط العالمي المناهض للعولمة.

كل ذلك يوضح أن سياسة العولمة التي رسمها منتدى دافوس، قادت إلى مشكلات عالمية عميقة، فرضت بدء حركة فعلية لمناهضتها، شهدنا تمظهراتها في سياتل ودافوس ونيويورك وجنوى وبراغ.. إلخ.

وإذا كان المؤتمر الأول للمنتدى الاجتماعي العالمي سنة ٢٠٠١، يمثل «مهرجان مواجهة» لمنتدى دافوس (الذي يعقد في ذات الوقت). فقد عمل المؤتمر الثاني سنة ٢٠٠٢ على مأسسة النشاط، عبر عقد مؤتمرات إقليمية تسبق المؤتمر العام في بورتو اليغري (عقد مؤتمر أوروبي في فلورنسا، وآخر آسيوي في حيدر آباد الهندية). كما أكد على أن «عالمًا آخر ممكنًا». لهذا خيَّم على المؤتمر الأخير (كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٣) الأمل في الانتقال من الرفض إلى «طرح رؤى وبدائل»، رغم أن الحرب على العراق قد سيطرت على مجريات المؤتمر، مما فرض الربط بين «العسكرة والهيمنة الاقتصادية».

المؤتمر قبل الأخير (الذي انعقد في ٢٠٠٣) شهد أكبر حشد منذ بدء المنتدى (١٢٩ ألف مشارك، بينما كان العدد ١٥ ألف في المؤتمر الأول، و١٦٠ ألف في الثاني). كما شهد أضخم نشاط (١٧٠٠ ندوة). وأظهر تماسك الحركات الاجتماعية وتصميمها على تأسيس مقاومة فعلية لسياسة الرأسمالية، وعولمتها. وأكدَّ البيان النهائي على التزام «مناهضة العولمة الليبرالية الجديدة، والحرب، والعنصرية، ونظام الطوائف والفقر والبطرياركية وكل أشكال التمييز والإقصاء سواء أكانت

اقتصادية ، أم إثنية ، م اجتماعية ، أم سياسية ، أم ثقافية ، أم على أساس النوع والجنس». ولا شك في أن الإنجاز الأكبر هو تلك التظاهرات التي عمّت العالم ضد الحرب على العراق يوم (١٥/ ٢/ ٢٠٠٣)، بدعوة من المؤتمر، مما يشير إلى التعاطف الهائل الذي بات يحظى به، والدور الفاعل الذي بدأ يمارسه على صعيد مواجهة العولمة والحرب، وتوحش الرأسمالية عبر سياساتها «الليبرالية الجديدة».

وربما سنلمس تحولاً هاماً، قد تحقق، حينما نشير إلى التحوّل في الشعار الذي طرح في المؤتمر السابق (سنة ٢٠٠٢) ، والقائم على «عالم آخر أفضل ممكن»، حيث أصبح الشعار «عالم جديد ضروري.. وليس ممكناً فحسب»، الأمر الذي يشير إلى الفاعلية، وإلى الشعور بأن تشكيل «عالم آخر» يفرض الفعل، حيث أصبح ضرورة.

في خطابه أمام المشاركين قال الرئيس البرازيلي الجديد (وهو من حزب الشغيلة، الذي حضّر لتأسيس المنتدى الاجتماعي العالمي)، قال: «إن العالم لا يمكن أن يستمر إذا ظل محكوماً بالنظام الاقتصادي الحالي»، وكانت مهمة المشاركين البحث عن نظام بديل، عن عالم إنساني، ينهي التوحش الرأسمالي، وحسب بعض التقارير فإن أجندة المؤتمر كانت «راديكالية وديمقراطية ومناهضة للإمبريالية وللتميز ضد المرأة، وتحترم التعدد».

ربما لم يبلور المنتدى صيغة لعالم بديل، لكنه أشار إلى مساوئ النظام الحالي، وحدد مطالب كل الرافضين للعولمة، والناقمين على الرأسمالية ، والسياسة الليبرالية الجديدة. ولا شك في أن التوسع الكبير لفعاليته (خصوصاً بعد مظاهرات ١٥/ ٢) يفرض بلورة «رؤى وبدائل» حقيقية، تجمع شعوب العالم، وتقود حتماً من الرفض، رفض الرأسمالية ، والسياسة الليبرالية الجديدة ، والعولمة، إلى تصور يسهم في إعادة بناء العالم على أساس المساواة ، والعدالة ، والديمقراطية، وعلى أساس احترام

الأرض، ورفض الحروب.

عباس بيضون الذي تابع المؤتمر ختم مقاله بالتالي: «هل انقضت فترة الحداد أو لنقل فترة الندب والتأنيب؟ هل بدا ممكناً اليوم، بعد كل هذا الوقت، استحضار الأزمنة النضالية، أو على الأقل الأحلام النضالية؟» (السفير [بيروت] ٢٥/ ١/ ٢٠٠٣).

أزمات الرأسمالية تبدو أوضح، وانعكاس سيطرتها على العالم تستثير قطاعات واسعة، وحروبها تبيّن بشاعتها، وسعيها لنهب العالم بالقوة، لهذا فإن مواجهة العالم تفرض البحث عن بديل إنساني.

◆◆◆

أية عولمة نناهض؟!

ككل المفاهيم المستجدة يحمل مفهوم «العولمة» الكثير من الالتباسات، كما الكثير من الغموض، وربما سوء الفهم. نحن نتحدث عما جرى بعد انهيار «المنظومة الاشتراكية» (١٩٨٩-١٩٩١)، حيث نشأ مفهوم «العولمة». وهذا التحديد مهم هنا. لأنه كان مبتدأ «حركتين»، وربما تزامنتا صدفة، أو كانتا ضروريتين لمرحلة ما بعد الاشتراكية، وانقسام العالم إلى «معسكرين»، وتعايش «نمطين اقتصاديين» متناقضين.

فقد أدى الانهيار إلى تشكل عالم واحد هو العالم الرأسمالي، حيث«عادت» الدول التي كانت تتبنى النمط الاشتراكي، عادت إلى الرأسمالية، ملتحقة بالنمط الرأسمالي العالمي.

في هذه اللحظة بدأت الطبقات الرأسمالية في المراكز سعيها لإعادة اقتسام العالم. ولأن الدولة الأمريكية هي القوة الأعظم، عسكرياً وسياسياً، والتي تمر بأزمة اقتصادية، حيث كانت تعيش أزمات عميقة، منذ الثمانينيات (أزمة عجز الميزان التجاري مما كان يوضح تفوق الرأسماليات الأخرى، وعجز الميزانية، وبالتالي المديونية المرتفعة- أكبر من مديونية بقية العالم -، إضافة إلى حالة الركود الاقتصادي التي كانت تهدد الشركات الاحتكارية بالإفلاس)، فقد سارعت إلى إعادة صياغة العالم بما يحقق مصالح شركاتها الاحتكارية، ويحل أزماتها، مستفيدة من تفوقها العسكري المطلق.

لهذا وهي تخوض الحرب ضد العراق سنة ١٩٩١ أعلن رئيسها جورج بوش

الأب بدء«النظام العالمي الجديد» القائم على الاستفراد والتفوق والهيمنة الأمريكية، وهو النظام الذي بات يعرف -اختصاراً- بالعولمة.

العولمة هي إذاً «النظام العالمي الجديد» الذي عملت الدولة الأمريكية على تشكيله منذ بداية تسعينيات القرن الماضي، المطابق لمصالح الشركات الأمريكية، والذي يسمح بحل أزمة الاقتصاد الأمريكي. هذا النظام الذي يقوم على أساس اقتصاد السوق ، والخصخصة، حسب روشيتات الليبرالية الجديدة.

وبالتالي العولمة هي الهيمنة الأمريكية على العالم، إخضاع العالم للسيطرة الأمريكية، وهذا ما بدأته الدولة الأمريكية سنة ١٩٩١ في الحرب على العراق والوجود العسكري في الخليج العربي ثم في اتساع التدخل الأمريكي في العالم، والحرب ضد يوغسلافيا(البوسنة ، ثم كوسوفو)، قبل بدء الحرب ضد الإرهاب، في أفغانستان ، وانتقالها إلى العراق، وبدء التدخل العسكري في الفليبين وكولومبيا واليمن والصومال ...الخ. الأمر الذي بدأ يوضح الطابع الإمبراطوري لذلك «النظام العالمي الجديد»، وبالتالي يجعل تعبير «الإمبراطورية» رائجاً أكثر من تعبير «العولمة»، أو مطابقاً له.

فالعولمة، بالتالي هي هذا النظام الإمبراطوري الذي يخضع العالم له بالقوة والعنف، والذي يؤسس لنهب العالم واستغلاله بشكل عنيف عبر تعميم اقتصاد السوق بالقوة.

وأضيف أن للكيان الصهيوني دور متميز في هذا النظام الإمبراطوري، وبالتالي فإن العنف الصهيوني الراهن هو جزء من «الحرب على الإرهاب»، أي من العنف الامبريالي الأمريكي ضد العرب والعالم.

لكن سنوات التسعينيات شهدت أيضاً ثورة في عالم الاتصالات والتفاعل

العالمي، نتيجة تحول الكمبيوتر إلى حاجة ضرورية، ونشوء الإنترنت، ثم الفضائيات، وبالتالي تحقق «قفزة» في طبيعة العلاقات العالمية. ووعياً جديداً للعالم. بما هو «كتلة» واحدة ، أو تكوين موحد.

ورغم الحذر الضروري في التعامل مع هذه المسألة، نتيجة أن انتشار الإنترنت ما يزال محصوراً في الدول الرأسمالية (٨٠٪) ، فان هذه الظاهرة، ليست هي العولمة، على الرغم أنها أصبحت عنصراً فيها، سواء نتيجة ميل الرأسمالية لاحتكارها ، وتخييرها لخدمة أهدافها سالفة الذكر، أو نتيجة إفادة القوى المناهضة للعولمة منها، ..... وتسخيرها من أجل تنظيم نشاط عالمي مناهض للعولمة الرأسمالية.

وبالتالي فحين نناهض العولمة ، وإنما نناهض الرأسمالية المتوحشة وسياستها التي عملت على تحقيقها منذ انهيار «المنظومة الاشتراكية»، نناهض الحرب الإمبريالية ، والنهب الإمبريالي ، والهيمنة الإمبريالية على العالم... نناهض الاستغلال ، والتخلف ، واللاتكافؤ ، والعنصرية.. نناهض الاحتلال والاحتكار.. ونناهض فرض اقتصاد السوق ، والخصخصة على حساب الشعوب!

نشرة البديل

ناشطو مناهضة العولمة في سورية

العدد ٢ ٥/ ٣/ ٢٠٠٣.